

الإسلام السبيل لتدارك عتبة الحضارة في نظر مالك بن نبي

الأستاذ بن سليمان عمر¹

¹كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية-جامعة مستغانم-الجزائر

يرى " ابن نبي " أن وثبة الإنطلاق الحضاري تكون أساسا فكرة ذات طابع ديني مما يعني أن العلاقة قائمة ومبينة بين كل مشروع حضاري مبني على فلسفة تطور وبناء فعالة لذلك فالفكرة الدينية هي مرحلة لتجاوز العتبة وتحريك المفاعل ووضعه في مساره الصحيح بحيث يصبح الفرد على الاستعداد لبناء بعد أوجد ديناميكية التفاعل الاجتماعي بينه وبين الطرف الآخر ، وهكذا .

و كثيرا ما استشهد مفكرنا بالحضارة الإسلامية التي كان نواتها ظهور الدعوة المحمدية التي فكت القيود الفكرية والعقبات التي تجهض المبادرة والاقترار بل وتكبل حتى الرغبة في التجاوز وتغيير الأنا فما بالنا إذا كان المشروع مشروع حضارة ، فالدين عامل مهم و فاعل في بعث أي أسلوب أو نمط بناء هدفه الانتشار والاكتمال والفاعلية المجاوزة لراهن الأشياء باعتباره مكونا له وظيفية تحرير الفرد الذي لا يزال بحاجة إلى إشباع ذاته .

والفرد الذي لا يزال يحاول التخلص من هذه التبعية ، لأن الإقلاع لا يكون إلا سد هذين المنفذين الذين يميزان التركيبة البيولوجية للإنسان الذي يبقى داما بحاجة إلى التبشير بضرورة إقلاعه ومواكبته للعصر.

إن ما أراد يصل إليه " ابن نبي " هو ضرورة الانطلاق في أي بناء حضاري من أرضية صلبة و متينة أساسها الفرد الذي تم كبح شهواته بصفة طبيعية روحية متيقنة تجعله محصنا في وجه الاستفزات أو العواقب أو ردود الأفعال بما

الأستاذ بن سليمان عمر

يضمن صيرورة العمل المنجز ، و تواصله و تأثيره فيما حوله فكيف ينظر " ابن نبي للإسلام و ما مفهومه و أبعاده"⁽¹⁾ .

" يرى أن " الإسلام لم يخرج يوما من نفوس المسلمين ، لكنه مع ذلك فقد وظيفته الاجتماعية و أصبح شأنا فرديا ، يعبر عن نفسه بصورة محددة في العبادة و الأخلاقيات الشخصية ، و هذا هو الحد الأدنى الذي ينبغي للإسلام كمنهج تغيير و سبيل التقدم ، إنه في هذه الصورة لا يختلف على أنواع الإيمان الأخرى النابعة من تأمل ذاتي أو إرث ديني هذا هو التحليل الذي وصل إليه منذ الستينيات.⁽²⁾

ولم يتوقف عند ذلك بل واصل تحليله في كل ما شأنه خدمة أمته و أوضاع مجتمعه الإسلامي. فهم مالك بن نبي للإسلام يختلف عن كثير من المفكرين المسلمين الذين حضروا في الأوامر و النواهي و النصوص غير القابلة للتأويل أو الاجتهاد .

فهو يراه وسيلة لإقامة التوازن في الروح و المادة فمتى كانت العلاقة القائمة ايجابية كان نتائجها نظام اجتماعي متناسق و متكاتف فالإسلام عنده هو مسلك حياتي قائم على أساس تحقيق التوازن في شخصية العنصر المسلم الذي هو مفتاح الحضارة خارج الأطر الفلسفية المجردة أو التنظير الغارق في التصوف و الانعزال .

فهو مشروع حياة ناجح قبل أن يكون صفة إعتقادية روحية، إن الفهم الخاطئ لمساحة الإسلام و عمق دلالاته شوه كثيرا تلك الصورة الناصعة التي ارتسمت في المتخيل الحضاري للبشرية فالقصور ليس في الإسلام لأنه يحتوي ثوابت التشريع لكل زمان و مكان و إنما في سوء التفسير أو عدم إعطاء الاهتمام للتطوير و النهضة⁽³⁾ . قد لا نبالغ إذا قلنا إنه ما من مسلم في هذا العصر إلا وقد تساءل يوما إن كان ثمة علاقة بين حال المسلمين الراهن و بين إسلامهم إن وجد

الإسلام السبيل لتدارك عتبة الحضارة في نظر مالك بن نبي

هذا السؤال كامنا في خلفية الجدال المزمّن حول العلاقة بين الإسلام و الحداثة
(4)

إن الإسلام قوة تماسك ووحدة في نظر " مالك بن نبي " وهو الدين الوحيد الذي يملك القدرة على تفعيل هذه الخاصية الروحية وتمتينها تجسيدها ، فقد نجح في الجمع بين الأعداء و السادة و العبيد في زمن لم يخطر على بال تحقيق هذا الحلم لينطلق بعد ذلك هذا الزخم المتداخل في بناء حضارة لم يعرف لها العالم حدود.

" قوة التماسك الضرورية في المجتمع الإسلامي موجودة بكل وضوح في الإسلام و لكن أي إسلام؟...الإسلام المتحرك في عقولنا و سلوكنا ، و المنبعث في صورة إسلام اجتماعي و قوة التماسك هذه جديدة بأن تؤلف لنا حضارتنا المنشودة ، في يدها ضمنا لذلك - تجربة عمرها ألف سنة و حضارة ولدت على أرض قاحلة وسط البدو ورجال الفطرة و الصحراء⁽⁵⁾ .

فالسر الكامن وراء هذا التجسيد الفعلي للمسار الحضاري الصحيح كان في الحركة الايجابية التفاعلية التي أوجدها الإسلام في مجموعة من الأفراد تختلف تركيبتهم البشرية من فرد إلى آخر و لكنهم على اتفاق في ضرورة إنتاج مسار عملي منشود محدد و صارم وفق فلسفة التكافل الاجتماعي و الرغبة في بلوغ المرام ما دام الجميع متساوين في المشهد البدئي الأساسي فالكل يعمل و الكل ينتج و الكل يساهم لأن المعركة مشتركة وواحدة .

" إن الدين مركب القيم الاجتماعية، و هو يقوم بهذا الدور في حالته الناشئة حالة انتشاره و حركته عندما يعبر عن فكرة جماعة أو حين يصبح الإيمان إيمانا جذريا دون إشعاع، اعني نزعة فردية فإن رسالته التاريخية تنتهي على الأرض إذ أصبح عاجزا عن دفع الحضارة

الأستاذ بن سليمان عمر

و تحريكها إنه يصبح إيمان رهبان يقطعون صلاتهم بالحياة و يتخلون عن واجباتهم و مسؤوليتهم.⁽⁶⁾

فالمبدأ الأساسي الذي تقوم عليه العقيدة يكمن في الإصرار على التغيير و المبادرة و ذلك باستغلال القدرات العقلية و الذاتية التي أساسها الإنسان بما مكنه الله على هذه الأرض.

فالمسلم دوره في الدعوة و التبليغ في نشر الحضارة و المثل و كلما ازدادت أساليب الحصار من قوى المادة و القوة و ضاق الخناق ، يجب أن يخرج من أعماق ذلك عزم قوي على العطاء من أجل توسيع دائرة الانتصار، وهذا الفعل هو ضيع الشخص المتزن و المتوازن الذي يحسن تحويل المثل ، و القيم إلى سلوك معيش يطبقه على نفسه و يكون القدوة و الطليعة التي تتقدم الصفوف حتى يسهم في صنع رصيد التاريخ.⁽⁷⁾

و بمعنى آخر أن المسلم هو ذلك المبشر بالحضارة المنشودة و التي تهدف إلى تحقيقها و الداعي إليها عكس ما يعتمد الآخر الذي حصرها في العبادة لا غير. و الإسلام لم يأتي بهذا مطلقا بل جاء داعيا إلى السعي و العمل لتحسن أوضاع هذا الفرد الذي منهجه قوة الفكر و الذكاء إذا وضع فيه مكامن التغيير لينطلق في إثبات ذاته و قدراته و تفوقه بإرادة منه بعد تجاوز الحاجز النفسي الذي كثيرا ما قيده و جعله رهين خرافات و تصورات لقترة غير قصيرة فجاء الإسلام مبشرا به و منقذا له من برائن التعصب و الجهل و القابلية للاستعمار.

" الكل في عالم الاستلام أهل التقليد بل الطريق الوحيد إليه، و هو يرجعون في هذا إلى وعد الله سبحانه بالعلو للمؤمنين كما يرجعون إلى تجربة المسلمين في تاريخهم الماضي فقد عبر أسلافهم على جسر الإيمان إلى التقدم العلمي والحضاري والغلبة في الأرض فهذه و تلك دليل عندهم على الترابط بين الإيمان و التقدم"⁽⁸⁾ إلى جانب ذلك يرى ابن نبي أن الدين الإسلامي قد أيقض في الإنسان

الإسلام السبيل لتدارك عتبة الحضارة في نظر مالك بن نبي

كما من الأشياء و حركها و أوجد لها مناخا مناسباً لانفجارها و رسم لها فضاءاتها
المأثورة حتى لا تحيد عن المسار الصحيح و تخرج عما هيئت له .

فأسست نواة حضارة في ظرف زمني قصير لا يتجاوز العشرين و توسعت
لتشمل كل الجهات أي الأماكن لتحتل بذلك عالمية الدور و تقوض أركان
الحضارات الزائفة القائمة على القهر و المغيبة لدور الإنسان الفاعل المنتج .

إن النهضة تكون فيما يبذله العالم الإسلامي من جهد في الميدان
النفسي(الروحي) هي حركة ضمير ليتدارك تخلفه عن الفكر القرآني الواعد و عن
ركب الفكر العلمي الحديث.⁽⁹⁾ و يصرح في مناسبة أخرى أن الأساس العلمي لفكر
الإنسان المسلم المبشر بالنهضة ينبغي أن يبني على حقائق دافعة تضع القرآن
كدستور إسلامي و أن تشجع على تطوير المناهج العلمية لفهمه و محاولات
تدارسه.

فالمشكلة حسب "ابن النبي" أننا لم نستحدث مناهج علمية كفيلة
بالكشف عن مكونات القرآن الكريم و لم نجتهد حتى في محاولة فهمه و استيعاب
تجلياته و أحكامه ورؤاه ذات البعد الحضاري.⁽¹⁰⁾

إن مالك بن نبي وقف على نقطة هامة ، وبنى عليها معالجته للأوضاع
الراهنة و هي ضرورة تجديد الرصيد الفكري والحضاري للأمة وبعث نفس جديد
وضخ دماء جديدة في جسدها حتى يمكننا النهوض والانبعاث بمعطيات أخرى، و
بأهداف وطموحات متجددة ووفقا للعصر الذي نعيش فيه، فمن غير المعقول أن
نبني حضارة في القرن الواحد و العشرين بروافد وفلسفات ومعطيات لم تعد
صالحة الآن وهو ما زكته التجربة وفرضه الواقع.⁽¹¹⁾

هكذا فهم مالك بن نبي الإسلام منقذا للأمة، و المسلم ممثلاً لها وشاهداً
علمياً والطريق تحديث منهج التفسير وإلحاق بركب العلم فالإصلاح عنده بالعودة
إلى مناخات يوفرها الإسلام لا غير.

الأستاذ بن سليمان عمر

فنظرة مالك بن نبي إلى المجتمع الإسلامي نظرة تاريخية تطويرية حركية شاملة، وليست دراسته دراسة سكونية جزئية مقتصرة على مرحلة معينة من مراحل حركته التاريخية ويرتبط هذا بمنهجه الذي رسمه لنفسه باعتماده على الوقائع الاجتماعية والنفسية للمجتمع والتي تبني الحضارة ويسير الواقع المتمثل في الحداثة التي فرضت نفسها على مجتمعاتنا العربية والإسلامية لكن بأساليب لا بد من مراجعاتها و التأمل فيها حتى توظف لما يصلح لهذه الأمة ومحاولة الابتعاد عن الذوبان والتكديس وتحبيب الابتعاد على الهوية والمعتقد.

الحداثة وأسس الحضارة في فكر مالك بن نبي: لقد تناول الأستاذ بن نبي هذا الأمر بشكل دقيق لم يسبق إليه، حيث اعتبر أن التاريخ ليس عبارة عن أحداث متراكمة، بل هو بصمات المجتمعات الحية على مر الزمن لذا فإن صناعة التاريخ هي مهمة الرجال الرساليين الذين يدركون حقيقة الأشياء ويتمنونها، إذ أن التاريخ ليس دقائق وثواني تعد أو تهمل بل هو الصورة الحقيقية للمجتمعات المتحضرة.

يقول *ابن نبي* إن الزمن نهر قديم يعبر العالم، ويروي في أربع وعشرين ساعة الرقعة التي تعيش فيها الشعوب، والحقل الذي يعمل به ولكن هذه الساعات التي تصبح تاريخا هنا وهناك قد تصير عدما إذا مرت فوق رؤوس لا تسمع خريرها.*⁽¹²⁾

وقد قرر رحمه الله أن الحضارة تبني تبعا لتأثير عوامل اجتماعية أربعة:

- 1- تأثير عالم الأشخاص.
- 2- تأثير عالم الأفكار.
- 3- تأثير عالم الأشياء.
- 4- تأثير عالم شبكة العلاقات الاجتماعية.⁽¹³⁾

الإسلام السبيل لتدارك عتبه الحضارة في نظر مالك بن نبي
هذه العوامل التي تعطي للجهد الإنساني فعاليته النموذجية
القصوى⁽¹⁴⁾ وعلى هذا أكد أن كل حقيقة لا تؤثر في هذه العوامل هي حقيقة ميتة
لا تغني شيئاً وعلى هذا فإن كل شعب يجب أن يصنع حضارته بوسائله
ومجهوداته الخاصة وبأيديه ذاتها والتاريخ في أي مستوى من الحضارة يتم إنجازه
إنما يمثل النشاط المشترك للأشياء والأشخاص والأفكار المتاحة في ذلك الحين
بالذات أي في نفس الأوان الذي يواكب عملية انجازه⁽¹⁵⁾ فالحضارة تصنع أيدي
وساعد وقوى الرجال كما سبق وان ذكر العلامة مالك بن نبي .

القوى المعرفية والسلوكية والعملية وليس باستيراد أشياء الحضارة
والتباهي بها وتكديسها.

يقول ابن نبي أنه علينا أن ندرك بان تكديس منتجات الحضارة الغربية لا
يأتي بالحضارة ، فالحضارة هي التي تكون منتجاتها وليست المنتجات هي التي تكون
الحضارة أو تصنعها أو تطورها إذن هي من البديهي إن هي التي تكون النتائج وليس
العكس ولو بقينا على سيرة التكديس لا نبرح أماكننا ولا نستطيع الخروج بشيء
بغير أوضاعنا⁽¹⁶⁾

والمشكل لا يمكن هنا فقط ولا يقف عند هذا الحد كما عبر على ذلك مالك
بن نبي ، فهناك قيم أخلاقية ثقافية تستورد وعلى المجتمع الذي يحتاجها أن
يلدها⁽¹⁷⁾. مثل الفعالية والإحساس بقيمة الزمن وتكريم الإنسان والشعور
بالأناقة والتذوق الجمالي، فالحضارة هي نتيجة الجهد الذي يبذله الشعب الذي
يريد التحضر ومواكبه العصر وتغيير الأوضاع نحو الأفضل والأحسن.

ولعل الهزيمة والشعور بالإحباط النفسي الذي نعيشه اليوم هو نتيجة
انهيارنا بأشياء ومنتجات الحضارة لا غير وظنا أننا لن نلحق بالركب حتى تكون
لدينا كل منتجات أو أشياء الحضارة ، ولكن الحقيقة عكس ذلك إذ أزمة العالم
الإسلامي منذ زمن طويل لم تكن أزمة في الأشياء أو الوسائل كما يعتقد البعض

الأستاذ بن سليمان عمر

وإنما في الأفكار وحسن اختيارها وتوظيفها. و طالما لم يدرك هذا العالم تلك الحقيقة إدراكا حقيقيا وواضحا، فسيظل يعاد الداء ويصعب عليه إيجاد الدواء⁽¹⁸⁾ فصناعة الحضارة هي صناعة التاريخ وخلاصته هو أن يعلم الجميع أن اكتشاف الطريق المؤدي إلى تصدر موكب الإنسانية ليس بالضرورة تقليد المجتمعات المتقدمة في طرائفها وتحضرها ونهجها الحياتي أو كيف تتبعها في سلوكاتها بل فيما تفكر فيه وما تنتجه بأيديك ووسائلك لا بأفكار ووسائل الأخر المكدسة بديك فالحدائثة بالمعنى الذي يريده المرحوم مالك بن نبي لا بالهواجس والأوهام ولا بالتكديس المؤدي إلى الإحباط⁽¹⁹⁾

إن قضية الحضارة بدأت تزداد أهمية دراستها يوما بعد آخر حيث أن التجربة التاريخية تلعب دورا أساسيا لتكوين المجتمع الحضاري المعاصر وتطلعه نحو المستقبل لأنه من المستحيل أن يبدأ أي مجتمع انطلاقته من عدم دون النظر في واقع تراثه الحضاري وذلك للاطلاع على ايجابياته وسلبياته ومعرفة المواقف والقيم التي ساهمت وتساهم في تكوين المجتمع الذي تصبو إليه.⁽²⁰⁾

يرى "مالك بن نبي" إن كل حضارة ينبغي أن يكون لها اتصال بماضيها وتراثها ولن يتحقق المستقبل الأفضل إلا بعد دراسة الماضي أي " التراث " لانه يحمل الكثير من مكونات الحاضر والمستقبل فالتأمل في أعمال العلامة مالك بن نبي الفكرية يلاحظ أنها تحاول معالجة مسألة أساسية وهي مشكلة الحضارة فيقول مالك : إن المشكلة التي استقطبت تفكيري واهتمامي منذ أكثر من ربع قرن وحتى الآن هي مشكلة الحضارة ، فكانت جهوده تنصب في البحث عن حل لهذه المشكلة الإسلامية حلا موضوعيا وذلك بمعالجة جوهرها وليس مظاهرها لان المشكلة الرئيسية تكمن في الجوهر. ولهذا يقول أن مشكلة كل شعب في جوهرها مشكلة حضارية ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته ما لم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية وما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات وتهدمها⁽²¹⁾.

الإسلام السبيل لتدارك عتبة الحضارة في نظر مالك بن نبي

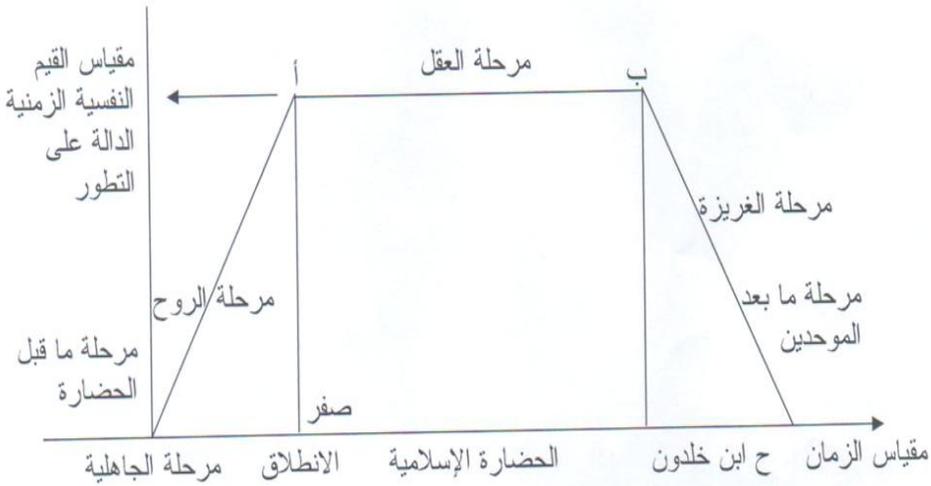
ويرى أن الدين هو أساس قيام المجتمعات والحضارات أيا كانت فالحضارة لا تنبعث كما هو ملاحظ إلا بالعقيدة الدينية وينبغي أن تبحث في حضارة من الحضارات عن أصلها الديني الذي بعثها. ⁽²²⁾ تشكل نظرية الدورة الحضارية التي طورها " بن نبي" بعد أخذها من ابن خلدون الذي يعتبر أول من اكتشف الظاهرة الدورية بما تحتويه من نقطة البداية تم الصعود إلى القمة ثم الأفول ، المدخل الذي نستطيع منه فهم الدراسة بن نبي للحضارة حيث انه في دراسته ل (الظاهرة الدورية) يبدأ بقوله تعالى " وتلك الأيام نداولها بين الناس " ⁽²³⁾ ليؤسس عليها قانون التداول الحضاري ، وهذا المبدأ يركز على أن الحضارة أيا كانت يحكمها قانون الهجرة أو الدورة والذي يعني في حقيقة انتقال الحضارة بقيمتها من مكان إلى آخر بحثا عن العناصر الأولية التي يحتاج إليها الإنسان . فيتم الانتقال إلى مكان جديد وبذلك تبدأ الدورة الجديدة وهكذا إلى أن تنقضي البشرية ويجب فهم هذه الدورة من اجل استيعاب فلسفة البناء الحضاري. فدراسة التاريخ من الناحية الفردية هي دراسة نفسية ، أما من الجانب الاجتماعي فان التاريخ من هذا الجانب دراسة اجتماعية لأنه يكون دراسة شروط نمو مجتمع معين .

وإذا كان من الصعب تحديد معرفة جذور هذه الحركة بدقة في المكان والزمان فان أما من جانبيين جوهريين للحضارة الجانب الميتافيزيقي أو الكوني وهو جانب ذو هدف وغاية والجانب التاريخي الاجتماعي وهو جانب مرتبط بسلسلة من الأسباب المتنوعة ⁽²⁴⁾ . وهذا الأخير تمثل فيه الحضارة وكأنها مجموعة عددية تتابع في وحدات متشابهة ولكنها غير متماثلة ، وهكذا تتجلى لإفهامنا حقيقة جوهريية في التاريخ هي دورة الحضارة أي أننا أمام جانبيين جوهريين للحضارة الجانب الميتافيزيقي وهو جانب ذو هدف وغاية والجانب التاريخي الاجتماعي وهو جانب مرتبط بسلسلة ⁽²⁵⁾ من الأسباب فالمجموعات العديدة المتتابعة هي الحضارات المتعاقبة وهي كلها تمثل حلقات متصلة في الملحمة الإنسانية كما أن

الأستاذ بن سليمان عمر

كل دورة محددة بشروط نفسية زمنية خاصة بمجتمع معين . فادا توفرت هذه الشروط كانت حضارة والظاهرة الدورية كما يسميها " مالك بن نبي " تحتتم علينا حل مشكلاتنا وتحديد إمكاننا من دورة التاريخ حتى يسهل علينا معرفة عوامل النهضة. يرى مالك أن كل حضارة تقع بين حدين هما الميلاد والأفول ويمكن عرض نظريته في تركيب الحضارة في صورة بيانية تخطيطية.

فالمنحنى البياني يبدأ من النقطة الأولى في خط صاعد حتى يصل إلى مستوى نقطة أخرى في خط نازل ، أما المرحلة التي تتوس هذين الخطين فهي مرحلة وسيطة وهي مرحلة القمة وهي طور انتشار الحضارة وتوسعها.⁽²⁶⁾



فالظاهرة هي وجود محورين تنتقل من الواحد إلى الآخر القيم الحضارية بصورة دورية كأنما تاريخ الإنسانية يصنع على محورين بينهما حركة مد جزر مستمرة تنقل القيم الحضارية .⁽²⁷⁾

ويحاول مالك بن نبي تطبيق هذا المخطط على حركة التاريخ الإسلامي وذلك للوقوف على اتجاه حركة الحضارة الإسلامية في صعودها وهبوطها وذلك ليعرف المسلم تاريخه كقيم ومفاهيم وقبل بدء دورة من الدورات أو بدايتها يكون الإنسان

الإسلام السبيل لتدارك عتبه الحضارة في نظر مالك بن نبي
في حالة سابقة للحضارة . أما في نهاية الدورة فان الإنسان يكون قد تفسح
حضراريا وسلبت منه الحضارة تماما فيدخل في عهد ما بعد الحضارة وهي مرحلة
الانحطاط حيث لم يعد الإنسان والتراب والوقت عوامل حضارة بل عناصر
خامدة غير متفاعلة.

فالحضارة تصنعها الأفكار وتغيرها وتفعّلها الأشخاص⁽²⁸⁾ أن نقطة الصفر
في الرسم البياني التي تسجل الحالة السابقة على الحضارة هي بداية ظهور تركيب
العناصر الثلاثة :

الإنسان والتراب والوقت. مما يؤدي إلى ميلاد مجتمع معين ولكن عالم
الأشخاص والأشياء لم يوجد بعد . أما عالم الأفكار فانه يحتوي على بكرة
إمكانيات كما تحتوي النطفة كل العناصر العضوية والنفسية المهمة في ترتيب
الكائن وبهذا يمكن التقرير أن الفكرة التي غرست بذرتها هي فكرة. أي أن الدين هو
أساس بناء المجتمع وهو يخلق نظاما اجتماعيا

للأفراد ، فكما قويت العلاقة الدينية بين نقطة الصفر والنقطة (أ) فان
درجة الفراغ الاجتماعي تقل وهي الهدف والمثل الأعلى لجميع الشرائع التي تحاول
سد الفراغات الاجتماعية .⁽²⁹⁾ نلاحظ من البيان ان دورة الحضارة تمر بثلاث
مراحل مختلفة تبدأ بنقطة الصفر التي تمثل إنسان الفطرة.

في المرحلة الأولى هي مرحلة الروح (من نقطة الصفر إلى النقطة أ) وهي
تتمثل بعلاقات اجتماعية قوية وممتدة وتوحي بعبارة من القران " البنيان
المرصوص".

كما في قوله تعالى " إن الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص
" ⁽³⁰⁾ كما إن الفرد في هذه الحالة أو المرحلة يكون في أحسن ظروفه وفاعليته
الاجتماعية.

الأستاذ بن سليمان عمر

بمعنى آخر هذا هو العصر الذهبي بالنسبة للمجتمع الإسلامي لا من اجل انه بلغ أوج ازدهاره وتقدمه، وإنما لأنه يتمتع بميزتين ، القوة والحركة الصاعدة . أما في المرحلة الثانية (من النقطة أ إلى النقطة ب) فان العلاقات الاجتماعية لا تزال قوية ولكن قد ظهر عليها بعض النقص. فالمجتمع يواصل نموه ولكن ليست كل قواه في نقطة الحركة فلم يعد الفرد المسلم وهو يباشر وظيفته الاجتماعية يعمل بكامل طاقته لان جانبا من الطاقة معنى وتراجع إلى السكون.

أما المرحلة الثالثة (من النقطة ب إلى النقطة ج) فان الغرائز تتفكك وتسود الفردية تبعا لتحرير غرائز الأفراد مما يؤدي إلى انهيار العلاقات الاجتماعية فيحتل نظام الطاقة الحيوي وهو ما يسمى بعصر الانحطاط وهو العصر الذي هيا في العالم الإسلامي الظروف الملائمة للقابلية للاستعمار الدخول فيه.

يتجلى لنا مما سبق أن مجتمع ما قبل الحضارة يمثل انطلاق الحضارة بينما يمثل مجتمع ما بعد التحضر عند نقطة نهاية تدهور الحضارة القاعدة لانطلاقها من جديد حسب رأي مالك بن نبي .

ولمعرفة كل ذلك لا بد أن نتعرض لمكونات الحضارة . كما يرى مالك بن نبي.

إذ أن عناصرها تتمثل في:

الإنسان .

التراب

الوقت أي إنسان + تراب + وقن .

فأول ما يجب أن نفكر فيه عندما نريد أن نكون حضارة هو التفكير في عناصرها تفكيرا كيميائيا لأنه إذا حللنا الحضارة إلى مكوناتها فان هذا يعتبر بناء وليس تكديسا . فعندما تحلل أي منتج من منتجات الحضارة فإننا نجدتها تتكون من ثلاثة عناصر وأول هذه العناصر هو الإنسان لأنه هو الذي جاء بالفكرة تم صنع المنتج بيده⁽³¹⁾

الإسلام السبيل لتدارك عتبه الحضارة في نظر مالك بن نبي

فحسب مالك فالإنسان هو محور الفاعلية في حركة الحضارة الإنساني محدد بالعقل الفكري وتكوينه الثقافي الذي استمدته من بيئته الحضارية. فكل تفكير في مشكلة الإنسان بالنسبة إلى حظه في الحياة هو في أساسه تفكير في مشكلة الحضارة.⁽³²⁾

فمعنى الحضارة ان يتعلم الإنسان كيف يعيش في جماعة ويدرك في الوقت ذاته الأهمية الرئيسية لشبكة العلاقات الاجتماعية في تنمية الحياة الإنسانية من اجل وظيفتها التاريخية.⁽³³⁾

ومن هنا يمكن أن نجمل القول بان التقدم الحضاري يعتمد على دور الإنسان وفعالته في المجتمع وذلك لان القضية ليس قضية أدوات ولا إمكانيات. إن القضية في أنفسنا ان علينا ان ندرس أولا الجهاز الاجتماعي الأول هو الإنسان أما العنصر الثاني فهو التراب وهو يعني كرما على وجهها وفي باطنها من ثروات.⁽³⁴⁾ وليس المقصود بالتراب همنا البحث في خصائصه وإنما البحث في قيمته الاجتماعية بكونه عاملا من عوامل النهضة الحضارية فكلما ارتفعت قيمة الأمة وتقدمت الاجتماعية بكونه عاملا من عوامل النهضة الحضارية فكلما ارتفعت قيمة التراب ، وكلما تخلفت الأمة أصبح تراها على قدرتها من الانحطاط.⁽³⁵⁾

أما العنصر الثالث فهو الزمن أو الوقت وما يقصد به هو قيمته وحسن استغلاله عند الانسان وليس المقصود به الزمن المطلق . ويرجع ازدهار الحضارة الإسلامية في سرعة مذهلة إلى تقديس المسلمين للوقت آنذاك فالوقت يمر على السواء في كل ارض وعلى كل شعب وفرد في مجال ما يصير "ثروة" وفي مجال آخر يتحول عدما.

فيجب اغتنام الفرص من الحياة من اجل العطاء فإدراك قيمة الوقت فردا وجماعة هو إدراك لقيمه التي لا تعرض في العملة الوحيدة التي لا تسترد إذا

الأستاذ بن سليمان عمر

ضاعت أن العملة الذهبية يمكن ان تضيع وان يجدها المرء بعد ضياعها ولكن لا تستطيع أي قوة في العالم ان تستدرك دقيقة إذا ضاعت .

وعليه يمكن التعبير عن كل منتج حضاري بمعادلة رياضية كالتالي :

منتوج حضاري = إنسان + تراب + وقت

إذن يهده المنتجات تصنع الحضارة التي نريد .

كما أن مجموع منتجات حضارية = مجموع إنسان + مجموع تراب + مجموع وقت.

ومجموع هذه المنتجات الحضارية هو أساسا الحضارة نفسها في صورة غير

مركبة والنتيجة التحليلية في النهاية تؤدي إلى حضارة = إنسان + تراب + وقت.

ومن هذه المعادلة النهائية نستنتج أن الحضارة هي بناء مركب اجتماعي

لثلاثة عناصر وليست عملية تكديس المنتجات الحضارية.

وهذا هو المفهوم الأول للحضارة عند "بن نبي" الذي يعتبر أن الإنسان هو

محور الفاعلية بين العناصر الأساسية للحضارة⁽³⁶⁾

فإذا كان هذا الإنسان لا بد من ذاتيته إلى الفرد الاجتماعي الحضاري من

عالم الأشخاص فإن ذلك لم يتحقق بمعزل عن عالم الأفكار الذي تحسن

استخدام الوسائل وكذلك لا بد من وجود عالم الأشياء التي تمزج للأفكار فرضا

إبداع الصناعة والإنتاج وللإنسان رفاهيته وأمنه وتطوره ومواقبته للعصر.

ولهذه المعادلة شروط معينة حتى تتماشى والواقع المعاش الذي يؤمله

الفرد والمجتمع .

فالتاريخ يدلنا على أن المركب الذي يتدخل في تركيب هذه العناصر الثلاثة

هو الدين كعامل مركب للحضارة لأن هذه العناصر ليست كافية لتشكيل

الحضارة بل لا بد من هذه العناصر ليست كافية لتكل الحضارة بل لا بد من

المحرك الأساسي الذي يحول هذه العناصر من حالة خام جامدة إلى حالة متحركة

صانعة للحضارة .

الإسلام السبيل لتدارك عتبة الحضارة في نظر مالك بن نبي
في الأخير نجدان مالك بن نبي اعتبر مشكلة الحضارة وأبعادها المشكلة
الكبرى التي نظم عدة مشكلات جزئية متداخلة يجب على المجتمع الإسلامي
تداركها أي الوقوف عندما ومحاولة توظيفها فيما يصلح للأمة .

الهوامش:

- 1- ابن نبي مالك - شروط النهضة، دار الفكر 47 ص ط 4 1987 م ، دمشق سوريا.
- 2- ضيف الله بشير فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي منشورات المجلس الأعلى للغة العربية ص 72 سنة 2005.
- 3- ابن نبي مالك ميلاد مجتمع - ت. عبد الصابور شاهين ، دار الفكر ط 3 1983 ص 14، دمشق سوريا.
- 4- ابن نبي مالك ميلاد مجتمع ، المصدر نفسه ص 112.
- 5- السيف توفيق ، الحداثة كحاجة دينية،الدار العربية للعلوم ناشرون، ص 17 ط 1 2006 بيروت لبنان .
- 6- ابن نبي مالك - شروط النهضة،المصدر السابق ص 70 .
- 7- بن نبي مالك، وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر المعاصر ت . عبد الصابور شاهين ط 1 1986 ص 40.
- 8- السحمراني أسعد مالك بن نبي مفكر إصلاحيا،دار النفاش بيروت لبنان ط 2 1986م، ص 104 .
- 9- السيف توفيق المرجع السابق ص 52
- 10- بن نبي مالك، وجهة العالم الإسلامي المصدر السابق ص 139
- 11- السحمراني أسعد المرجع السابق ص 106
- 12- السحمراني أسعد المرجع السابق ص 37
- 13- الطيب برغوث-موقع المسألة النقابية من إستراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي دار الينابيع للنشرالإعلام الجزائري ص 3-1993م
- 14- بن نبي مالك ميلاد مجتمع المصدر السابق ص 23
- 15- الطيب برغوث-موقع المسألة الثقافية المرجع السابق ص 11

- الإسلام السبيل لتدارك عتبة الحضارة في نظر مالك بن نبي
- 16- ابن نبي مالك ، أفاق جزائرية -الطيب الشريف مكتبة النهضة الجزائرية ، بدون طبعة وبدون تاريخ 161
- 17- ابن نبي مالك (تأملات) دار الفكر دمشق 1978 ص167
- 18- ابن بن مالك -بين الرشاد والتهيه دار الفكر دمشق 1978 ص172
- 19- ابن بن مالك في مهب المعركة دار الفكر دمشق 1981 ص120
- 20- ابن بن مالك مشكلة الثقافة ت عبد الصابور شاهين دار الفكر بيروت بدون طبعة ص116
- 21- الخطيب سليمان فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي دراسة إسلامية في ضوء الواقع المعاصر ، بيروت المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر 1991 ص 37
- 22- ابن نبي مالك - شروط النهضة المصدر السابق ص21
- 23- ابن نبي مالك المصدر نفسه ص56
- 24- سورة آل عمران الآية 140
- 25- ابن نبي مالك وجهة العالم الإسلامي المصدر السابق ص 27
- 26- ابن نبي مالك المصدر السابق ص28
- 27- ابن نبي مالك- شروط النهضة المصدر السابق ص72
- 28- ابن نبي مالك تأملات المصدر السابق ص109
- 29- ابن نبي مالك وجهة العالم الإسلامي المصدر السابق ص31
- 30- ابن نبي مالك ميلاد مجتمع المصدر السابق ص55-58
- 31- سورة الصف الآية 4
- 32- ابن نبي مالك تأملات المصدر السابق ص168
- 33- ابن نبي مالك تأملات المصدر السابق ص114
- 34- ابن نبي مالك ميلاد مجتمع المصدر السابق ص 94

الأستاذ بن سليمان عمر

- 35- ابن نبي مالك- شروط النهضة المصدر السابق ص 139
- 36- الخطيب سليمان -فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي المرجع السابق ص 8
- المراجع**
- 1- ابن نبي مالك شروط النهضة دار الفكر دمشق سوريا ط 1987
- 2- ضيف الله بشير - فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي منشورات المجلس الأعلى للغة العربية ط 1 2005م
- 3- ابن نبي مالك - وجهة العالم الإسلامي - دار الفكر المعاصر - ت-عبد الصابور شاهين دار الفكر ط 3 1983 دمشق سوريا
- 4-السيف توفيق -الحدائث كحاجة دينية الدار العربية للعلوم ناشرون ط 1 2006 بيروت لبنان
- 5-ابن نبي مالك و جهة العالم الإسلامي دار الفكر المعاصر - ت عبد الصابور شاهين ط 1986
- 6- السحمراني أسعد مالك بن بني مفكر إصلاحيا، دار النقاش بيروت لبنان ط 2 1986م
- 7- الطيب برغوث-موقع المسألة الثقافية من إستراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي دار الينابيع للنشر والإعلام الجزائرية ط 3 1993م
- 8- ابن نبي مالك أفاق جزائرية - ت الطيب الشريف مكتبة النهضة الجزائرية بدون طبعة
- 9- ابن نبي مالك تأملات دار الفكر دمشق ط 1 1978م
- 10- ابن نبي مالك بين الرشاد والتهيه دار الفكر دمشق ط 1 1978م
- 11- ابن نبي مالك في مهب المعركة دار الفكر دمشق ط 1 1981م

الإسلام السبيل لتدارك عتبة الحضارة في نظر مالك بن نبي

12- ابن نبي مالك ت مشكلة الثقافة ت عبد الصابور شاهين دار الفكر بيروت
بدون طبعة

13- الخطيب سليمان -فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي دار إسلامية في ضوء
الواقع المعاصر بيروت المؤسسة الجامعية للدراسات دار النشر ط11991.